مجلة التعليمية
ISSN: 2170-1717
EISSN 2602-6015

المجلد 14 / العـــدد: 02 (2024)، ص 456 – 468

# رعاية الفاصلة في إيثار المظهر على المضمر في القرآن الكريم (دراسة نماذج)

# Taking care of the clincher in giving Preference to appearance over content In the Holy Qur'an (study models)

بن عامر يوسف*
كلية الآداب واللغات والفنون
–جامعة جيلالي ليابس- (الجزائر)
robotyoucef1985@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/09/19 تاريخ القبول: 2024/12/22

**ملخص:**

إن الأساليب التي امتاز بها القرآن الكريم أساليب فريدة من نوعها تدعو إلى التأمل والتدبر، وقد سعى العلماء المتقدمون والمتأخرون إلى الوقوف على دلالات كثيرة للأساليب التي تميز بها النص القرآني المعجز، وكان إيثار المظهر على المظهر من بين الأساليب التي طغت على آيات الذكر الحكيم ، فاستنبط منها علماء التفسير الكثير من الدلالات والأغراض تبعا للسياق القرآني .

فكان الهدف المنشود من هذا المقال هو بيان تجليات الفاصلة القرآنية في إيثار المظهر على المضمر للوصول إلى نتيجة مفادها أن الاستغناء ببعض الصيغ والتراكيب عن غيرها لرعاية الفاصلة ليس أمر عبثي في النص القرآني بل يؤتى به لدوافع وخيارات ممكنة كان من الجائز التبادل بينها في لغة الاستعمال البشري.

**كلمات مفتاحية:** الفاصلة– المظهر – المضمر– القرآن الكريم.

**Abstract:**

The methods that characterized the Holy Qur'an are unique methods that call for contemplation and contemplation, and scholars, both ancient and recent, have sought to find many indications of the methods that characterized the miraculous Qur'anic text. The preference for appearance over appearance was among the methods that overshadowed the verses of the Wise Mention, so they deduced Among them, interpretive scholars have many connotations and purposes depending on the Qur'anic context.

The published goal of this article was to explain the manifestations of the Qur'anic comma in preferring the apparent over the implicit, in order to reach the conclusion that dispensing with some forms and structures over others in order to take care of the comma is not an absurd matter in the Qur'anic text, but rather it is brought about for possible motives and choices that would have been permissible to interchange them in the language of human use.

**Keywords:** The comma- the appearance- the implication- the Holy Qur'an.

* بن عامر يوسف

**. مقدمة:**

حفل النص القرآني المعجز بين دفتيه الكثير من الأساليب المشوقة وضروب من أفانين البلاغة الرائعة والرائقة التي وقف عندها العلماء والأئمة بمختلف ميادنيهم اللغوية وتخومهم المعرفية ،فكان أسلوب الإظهار في مقام الإضمار من بين الأساليب التي حظيت بعناية كبيرة عند قبل علماء الدراسات القرآنية والمشتغلين على تفسير النص القرآني من زاوية لغوية بلاغية .

**– الإشكالية :**

ما هي أهمية الفاصلة في إيثار المظهر على المضمر ؟ وإلى أي مدى يمكن الاستغناء عن الظاهر ليحل بديلا عن المضمر رعاية للفاصلة ؟

**– أهمية الدراسة وأهدافها :**

هدف هذا المقال إلى بيان اعتبارات ودلالات إيثار المظهر على المضمر وفقا لسياق الخطاب ، كما يمكن أن يأتي هذا الأخير تبعا لفواصل الآي ليحقق جرسا موسيقيا في السياق القرآني.

– المنهج:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي الاستنباطي من أجل الوصول إلى أهمية الفاصلة القرآنية ومناسبتها لإيثار المظهر على المضمر من خلال بعض النماذج القرآنية التي وقفت عندها .

## 1.2 مفهوم الفاصلة في اللغة والاصطلاح

**– في اللغة:**

جاء معنى الفاصلة في معاجم العربية بمعاني متقاربة ومتماثلة ، قال صاحب التهذيب في باب فصل بأن: " الفصل: بون ما بين الشيئين. والفصل من الجسد: موضع المفصل، وبين كل فصلين وصل، وأنشد:وصلا وفصلا وتجميعا ومفترقا...فتقا ورتقا وتأليفا لإنسان،والفصل: القضاء بين الحق والباطل، واسم ذلك القضاء الذي يفصل فيصل. وهو قضاء فيصل وفاصل"[1].

وقد ذهب صاحب معجم الصحاح أن مادة فصل تعني القطع فقال أن:"الفصل: واحد الفصول. وفصلت الشئ فانفصل، أي قطعته فانقطع. وفصل من الناحية، أي خرج. وفصلت الرضيع عن أمه فصالا وافتصلته، إذا فطمته. وفاصلت شريكي. والمفصل: واحد مفاصل الأعضاء"[2] .

بينما قال صاحب اللسان نقلا عن الليث أن الفصل يعني :" الفصل بون ما بين الشيئين. والفصل من الجسد: موضع المفصل،وهو الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل

أي قطعته فانقطع. والمفصل: واحد مفاصل الأعضاء. والانفصال: مطاوع فصل. والمفصل: كل ملتقى عظمين من الجسد"[3]

إذن يمكن القول بأن هذه التعاريف التي ذاعت وشاعت في معاجم العربية أجمعت بأن مادة (ف ص ل) تعني القطع ولا يكون القطع إلا بين شيئين ،واسم الفاعل منها أي –الفاصل– يعني الحاجز الذي يفصل بين الشيئين أو البون كما صرح به أهل المعاجم ، بينما المفصل هو العضو الذي يفصل بين عظمين من الجسد وهذه المعاني التي ذكرها أصحاب المعاجم هي في المحسوسات ، أما من حيث المعقولات فالفصل يعني القطع والجزم ، ولا يكون الفصل إلا بين أمرين أو شيئين على وجه قاطع يبلغ مبلغ النهاية .

**- في الاصطلاح:**

إن المفهوم الاصطلاحي للفاصلة جاء مبسوطا في كتب علماء الدراسات القرآنية كالبرهان والإتقان باعتبارها مسألة ذات أهمية في النص القرآني الذي تميز عن غيره بكثرة الفواصل في رؤوس الآي ، قال الزركشي ناقلا أقوال العلماء الذين سبقوه عن معنى الفاصلة في النوع الثالث الذي سماه : "معرفة الفواصل ورءوس الآي" "هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع" ونقل أيضا عن الداني أن الفاصلة تعنى: "كلمة آخر الجملة" وقد فرق هذا الأخير بين الفواصل ورءوس الآي فقال أن الفاصلة هي الكلام المنفصل مما بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأسها . والقول الأخير جاء منقولا عن القاضي أبي بكر بأن: الفواصل هي حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني"[4] .

هذا حاصل ما جاء في البرهان عن الفاصلة القرآنية التي عني مفهومها الاصطلاحي بآخر كلمة في الآية مثل قافية الشعر وقرينة السجع كما سبق الحديث عنه لكن السيوطي رأى "بأن الفاصلة لا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً، لأن الله تعالى لما سلب عنه اسْمَ الشعر وجب سلْبُ القافية عنه أيضاً، لأنها منه وخاصةٌ به في الاصطلاح. وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر، لأنها صفة لكتاب الله فلا تتعداه"[5].

وفي ذات السياق يضيف السيوطي أن استعمال السجع في القرآن الكريم لا يجوزُ ويعلل بأن أصل كلمة السجع ، هي من سجع الطّيْرُ، فَشُرِفَ القرآن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك، ولأن القرآن من صفاته تعالى، فلا يجوز وصْفُه بصفة لم يرد الإذن بها. فالسجع هو الذى يقصد في نفسه ثم مجال المعنى عليه، والفواصل التي تَتْبَع المعاني، ولا تكون مقصودة في نفسها"[6].

وفي هذا الصدد يؤكد مصطفى مسلم بصريح العبارة بأن "الفاصلة هي مقطع تنتهي كل آية به ، وليست هذه الفاصلة قافية شعر ولا حرف سجع وإنما هي شاهد قرآني لا يوجد إلا فيه، ولا يعتدل في كلام غيره"[7].

إذن الفاصلة منوطة بالنص القرآني لا تنفك عن آياته بل هي المقطع الذي يفصل كل آية وأخرى، ولا يمكن بأي حال بأن نصفها سجعا ولا قافية ، فهذا محال بل لا ينبغي القول بأن الفاصلة تضارع القافية في منظوم كلام العرب والسجع في منثور كلامهم، فالقرآن الكريم هو مجموعة من السور والسور هي مجموعة من الآيات، والآية في القرآن هي القطعة منه ، والفواصل هي التي تفصل كل آية عن أختها مثل ما جاء في بعض السور من أجزاء المفصل كالليل والضحى والشمس . ومراعاة الفاصلة القرآنية في بعض السور جاء لتحقيق غرض لفظي وآخر معنوي كما سنرى في صفحات هذا المقال من خلال النماذج النوعية التي سأذكرها المتعلقة بوضع المظهر موضع المضمر رعاية للفاصلة.

## 2. وضع المظهر موضع المضمر وعلاقته بالفاصلة

### 1.2- وضع المظهر موضع المضمر:

إن وضع المظهر موضع المضمر من الأساليب البلاغية التي وقف عندها علماء البلاغة واللغة عامة وعلماء الدراسات القرآنية خاصة ، لأن هذا الأسلوب من الأساليب التي كثرت في نص القرآن الكريم فاهتم بها أهل التفسير اهتماما بالغا فحوت تفاسيرهم الكثير من دلالات هذا الأسلوب التي يعد من الأساليب التي عدها علماء البلاغة لصيقة بعلم المعاني .

فقد لحظ هؤلاء أن دراسة وضع المظهر موضع المضمر وعكسه، ودراسة الالتفات تتصل بباب المسند إليه؛ لأنها من أحوله، فألحقوها بهن كما لحظوا أن أساليبها مما لا تجري على مقتضى المقررات المتعارفة، وإنما هي ضروب من المخالفة، فترجموا لها بخروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر، حيث قالوا أن: "الأصل ألا يذكر الضمير إلا وقد سبقه ما يعود عليه ليكون المقصود بالكلام واضحا، تقول: لقيت زيدا وأكرمته، فتذكر الضمير في أكرمته؛ لأنه سبقه ما يعود عليه، ولا تقول لقيته هكذا ابتداء؛ لأن ذلك ضرب من التعمية، والإلباس يناقض القصد من اللغة والبيان"[8].

فالمفهوم من هذا الكلام أن وضع الظاهر موضع المضمر هو من باب خروج الكلام عن مقتضى الظاهر أي مخالفة الكلام لأصول البلاغة المعروفة المعتادة في باب الأسماء ،"فالأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة وأصل المحدث عنه كذلك والأصل أنه إذا ذكر ثانيا أن يذكر مضمرا للاستغناء عنه بالظاهر السابق"[9] فالمخالفة في وضع الظاهر موضع المضمر سببها "داعٍ بلاغي يستدعي استخدام الاسم الظاهر بدل استخدام الضمير"[10].

فقد ذكر علماء الدراسات القرآنية أغراضا لوضع الظاهر موضع المضمر من بينهم الإمام الزركشي (794هـ) وهو أحد الأئمة الذين أطنبوا في ذكر الدلالات والأغراض المستوحاة من أسلوب الإظهار في مقام الإضمار وقد عده من أساليب الإطناب ضمن علم البيان بخلاف البلاغيين الذين عدوه من علم المعاني حيث "أدرجه ضمن النوع السادس والأربعين الذي عنونه:أساليب القرآن وفنونه البليغة وذلك في القسم التاسع منه وقد تعجب من البيانيين كيف لم يجعلوه قسما من أقسام الإطناب."[11]

والإمام الزركشي لما وقف عند أسلوب الإظهار في مقام الإضمار في كتابه البرهان ذكر سبعة عشر غرضا مستدلا بآيات من القرآن الكريم وأبيات من الشعر العربي، والأغراض التي ذكرها في كتابه هي كالآتي : التعظيم، الإهانة والتحقير، الاستلذاذ بذكر الظاهر،زيادة التقدير،إزالة اللبس حيث يكون الضمير يوهم أنه غير المراد،أن يكون القصد تربية المهابة وإدخال الروعة في ضمير السامع بذكر الاسم المقتضي، قصد تقوية داعية المأمور،تعظيم الأمر، أن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف،التنبيه على علة الحكم،قصد العموم، قصد الخصوص، مراعاة التجنيس، أن يتحمل ضميرا لا بد منه،كونه أهم من الضمير، كون ما يصلح للعود ولم يسق الكلام له،الإشارة إلى عدم دخول الجملة في حكم الأولى"[12].

أما جلال الدين السيوطي (911 هـ) فقد ذكر في كتابه "معترك الأقران في إعجاز القرآن " تسعة فوائد للنوع الثالث عشر الذي سماه :"وضع الظاهر موضع المضمر" وصرح بأنه قد رأى فيه تأليفا مفردا لابن الضائع"[13]، بينما أدرجه في باب الإيجاز والإطناب في كتابه الإتقان[14].

والفوائد التي ذكرها وسطرها في كتابه منقوله عن الزركشي في كتابه البرهان وهي على سبيل الإجمال : زيادة التقرير والتمكين،قصدُ الإهانة والتحقير،قصد تربية المهابة وإدخال الروع على ضمير السامع بذكر الاسم المقتضي لذلك، قَصْدُ تقوية داعية الأمور،قصد التوصل بالظاهر إلى الوصف،قصد العموم ،قصد الخصوص،مراعاةُ الترصيع وتوازن الألفاظ في التركيب، أن يتحمل ضميرا لا بد منه"[15].

هذا هو مجمل ما قاله أشهر الأئمة في حقل الدراسات القرآنية وقد سار على نهجهم في تتبع أسرار وأغراض وضع الظاهر موضع المضمر أئمة كثر من علماء التفسير البارزين كمكي بن طالب (437 هـ ، هو من أول من أشار إلى ظاهرة الإظهار والإضمار في القرآن الكريم، واقتصر على غرض واحد من أغراضها هو التفخيم والتعظيم وهذا الغرض من أهم الأغراض لأسلوب الإظهار في مقام الإضمار ، وجاء من بعده الإمام الزمخشري (538 هـ) فزاد أغراضا أخرى بحكم تضلعه في البلاغة العربية ومعرفته لمواطن الإعجاز في القرآن الكريم ، ثم نحا نحوه فخر

الدين الرازي (606هـ) وأئمة كثر في ممن له باع بعلم التفسير وإعراب القرآن أشهرهم الكعبري (616 هـ) و المنتخب الهمذاني (643 هـ) ، والبيضاوي (658 هـ) ، والنسفي (710 هـ) ، وابن جزيّ (741 هـ) ، والطيبي (743 هـ) ، وأبو حيان (745 هـ)، والسمين الحلبي (756 هـ) ، ونظام الدين النيسابوري (850 هـ) ، وبرهان الدين البقاعي (885 هـ) ، والخطيب الشربيني (977 هـ)، وأبو السعود العمادي (982هـ) ، وغيرهم ممن جاء بعدهم وتأثر بهم أو ببعضهم"[16] .

وعلى تأثر اللاحقين بالسابقين ، فإن لأبي السعود العمادي اعتناء خاصا بهذا الأسلوب، واهتماما بتتبع مواضعه في القرآن الكريم ، وتجلية أغراضه ، مع ابتكار بعضها، كقصد تهويل الخطب والاستفظاع، فكان تفسيره ميدانا رحبا لمن أراد أن يتنسم عبق هذا الأسلوب.وكذا الطاهر ابن عاشور (1393 هـ) ممن له إضافات تذكر، وإشارات تنشر، واستدراكات تنصر"[17] .

### 3. علاقة الفاصلة في إيثار المظهر على المضمر :

إن استغناء ببعض الصيغ والتراكيب عن غيرها لرعاية الفاصلة ليس أمر عبثي في النص القرآني بل ليس قياسا يمكن تحديده بأنه كان ينبغي كذا فجاء كذا وفق الشائع المعلوم والمعهود في كلام العرب، فالاستغناء يؤتى به لدوافع وخيارات ممكنة كان من الجائز التبادل بينها في لغة الاستعمال البشري .

فنص القرآن الكريم المعجز بطبيعته ولغته الخاصة وأساليبه الفريدة وتراكيبه العجيبة يستلزم منها إمعان النظر وإعمال الفكر في تدبر آياته وسبر أغواره والوقوف عند أسراره وطرائق تعبيراته وأنواع استعماله لبعض المفردات وإيثارها عن غيرها "فالاستغناء يغلب أن يكون اختيارا قليل الاستعمال يؤثر على غيره مما هو شائع مستعمل في القرآن الكريم أو لغة العرب ، ولا شك أن ما يلجئ إلى القليل النادر مؤثرا إياه عل الكثير الشائع أمر يستحق الدرس السياقي لتتتبع ذلك والبحث عن دلالته .

ومن صور الاستغناء الشهيرة التي قررها العلماء والتي سأقف عند واحد منها كالآتي:"

01- إيثار بعض صيغ المبالغة على بعض

02 – إيثار اسم التفضيل على صيغة المبالغة

03- إيثار جمع التكسير على آخر

04- إيثار اسم الفاعل على الاسم الموصول .

05- إيثار مصدر مؤكد غير مصدر الفعل الموجود بالجملة .

06- إيثار صيغة المضارع على الماضي .

07- الاستغناء بصفة الشيء عن اسمه .

08- إيثار أغرب اللفظين لغرابة المعنى .

09- إيثار المظهر على المضمر"[18] .

وما يهمني في هذا المقال أن أقف عند بعض النماذج من القرآن الكريم وقع فيها إيثار الظاهر على المضمر زيادة في تقرير المعنى والتمكين له والتوكيد ، لأن من عادة العرب أن يذكروا الاسم أول مرة ثم إذا عادوا إليه عادوا بالضمير المناسب لذلك الاسم ، وهو لون من ألوان الإيجاز والاختصار، ولولا ذلك لطال الكلام وحدث ملل كبير.

## 4. دراسة نماذج :

قوله تعالى : [قالوٓا أءنك لأنت يوسفۖ قال أناْ يوسف وهٰذآ أخيۖ قدۡ من ٱلله عليۡنآۖ إنهۥ من يتق ويصۡبرۡ فإن ٱلله لا يضيع أجۡر ٱلۡمحۡسنين ]" [19].

في سياق هذه الآية الكريمة نكتة بلاغية أشار إليها جمهور من المفسرين متعلقة بوضع الظاهر موضع المضمر ، فمفردة المحسنين الواردة في الآية وضعت موضع الضمير فكان ينبغي أن يقال وفقا لمقتضى الظاهر " فإن الله لا يضيع أجرهم " وذلك للتنبه على "أن المحسن من جمع بين التقوى والصبر"[20] ، و "المحسنون في هذه الآية جاء بلفظ العموم يندرج فيه من تقدم من المتقين والصابرين"[21]، "فالموصوفون بالتقوى هم موصوفون بصفة الإحسان"[22].

هذا هو حاصل ما جاء منقولا عن جملة من المفسرين من دلالة وضع الظاهر موضع المضمر، فلو قيل في هذه الآية " فإن الله لا يضيع أجرهم " وفقا لمقتضى الظاهر لفسد المعنى المراد من اللفظ الظاهر ولم يكن للفاصلة أي مقصود في مجيء لفظة " المحسنين " ظاهرة بمعناها دون لفظها ، فهنا حدث اختلاف في اللفظ واتفاق في المقصود في مجيء المحسنين بمعنى المتقين والصابرين كما جاء عند المفسرين .

وقد ذكر بن عاشور (1393 هـ) في هذه الآية أن "ذكر المحسنين هو من وضع الظاهر موضع المضمر إذ مقتضى الظاهر أن يقال: فإن الله لا يضيع أجرهم. فعدل عنه إلى المحسنين للدلالة على أن ذلك من الإحسان،

وللتعميم في الحكم ليكون كالتذييل، ويدخل في عمومه هو وأخوه.ثم إن هذا في مقام التحدث بالنعمة وإظهار الموعظة سائغ للأنبياء لأنه من التبليغ كقول النبيء صلى الله عليه وسلم «إني لأتقاكم لله وأعلمكم به"[23].

فلفظ " المحسنين" في هذه الآية وقع موقعا حسنا ومجيئه بلفظ الجمع دون الإفراد ليدل على العموم والشمول في كل من صبر واتقى ، فالمغزى من هذه الآية الكريمة التي جاء في طياتها مشهد من مشاهد قصة يوسف مع إخوته أن صبر العبد وتقواه يوصله إلى درجة كبيرة من الإحسان ، ومن اتصف بصفة الإحسان فإن الله لا يضيع أجره بل ينصره نصرا عزيزا ويجعل له التمكين في الأرض كما حدث ليوسف عليه الصلاة والسلام مما قصه علينا القرآن الكريم .

واستعمال لفظ "المحسنين" بلفظ الجمع دون الإفراد يراعي جانبا من جوانب الفاصلة على المستوى الصوتي والإيقاعي ويراعي جانبا من جوانب الدلالة على المستوى الدلالي ، فالمعنى في هذه الآية إفرادي وتركيبي ، فلا نستطيع أن نحكم على المعنى إلا من خلال المستويين الافرادي والتركيبي معا.

فلو اقتصرنا على أن لفظ "المحسنين " جاء لرعاية الفاصلة فقط فإننا نغفل جانب المعنى الذي يعد العنصر الجوهري في عملية الخطاب ، فلابد أن نستحضر في العملية التواصلية ثنائية اللفظ والمعنى بما يخدم جميع المستويات اللغوية التي تراعي مقاصد المتكلم وفهم المتلقي خاصة في النصوص المقدسة كالقرآن الكريم وحديث النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

ومن ذلك قوله تعالى : [ وٱلذى جَآء بٱلصدْقِ وصدّق بهۦٓ أولَٰٓئك هم ٱلْمتقون ﴿٣٣﴾ لهم ما يشآءون عند ربهمْۚ ذٰلك جزآء ٱلْمحْسنين ﴿٣٤﴾ ليُكفر ٱلله عنْهمْ أسْوأ ٱلذى عمِلوا ويجْزيهمْ أجْرهم بأحْسن ٱلذى كانوا يعْمَلون ﴿٣٥﴾]"[24] .

في هذه الآية الكريمة من سورة الزمر وقع إظهار في مقام الإضمار ، يقول الآلوسي (1270هـ) في صدد هذه الآية أن "كل ما يشاؤونه جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ أي الذين أحسنوا أعمالهم، والمراد بهم أولئك المحدث عنهم لكن أقيم الظاهر مقام الضمير تنبيها على العلة لحصول الجزاء، وقيل: المراد ما يعمهم وغيرهم ويدخلون دخولا أوليا"[25].

فالمحدث عنهم حسب قول الآلوسي "هم الموصوفون بأنهم المتقون ، فكان مقتضى الظاهر أن يؤتى بضميرهم فيقال: ذلك جزاؤهم، فوقع الإظهار في مقام الإضمار لإفادة الثناء عليهم بأنهم محسنون.والإحسان: هو كمال التقوى لأنه فسره النبيء صلى الله عليه وسلم بأنه: "أن تعبد الله كأنك تراه" وأي إحسان وأي تقوى أعظم من نبذهم ما نشئوا عليه من عبادة الأصنام، ومن تحملهم مخالفة أهليهم وذويهم وعداوتهم وأذاهم، ومن صبرهم على

مصادرة أموالهم ومفارقة نسائهم تصديقا للذي جاء بالصدق وإيثارا لرضى الله على شهوة النفس ورضى العشيرة".[26]

وفي هذه الآية أيضا لعب لفظ " المحسنين" دورا كبيرا في مراعاة الفاصلة ، فجيء به ظاهرا بدل أن يكون ضميرا ليؤدي وظيفة إيقاعية ويضفي على التركيب القرآني نغما موسيقا ، فالمحسنون هم المتقون ، فاللفظ إذا كان في جملتين منفصلتين وطال الكلام حسن إظهاره وتكراره بالمعنى خير من تكراره باللفظ ليعطى معنى زائدا عن اللفظ الأول .

أضف إلى ذلك أن لفظ "المحسنين" جيء به بصيغة الجمع ، وصيغة الجمع تستلزم الشمول والعموم ، فكل من اتصف بالتقوى والصدق دخل في زمرة المحسنين ، فالاسم الصريح في هذه الآيات الذي جاء بالمعنى –المحسنين– دون مطابقته للفظ "المتقين" كانت له دلالة إيحائية من جهة ودلالة إيقاعية من جهة أخرى لتتناسب الفاصلة مع المعنى المراد في إيثار المظهر بمعناه دون لفظه.

ومنه قوله تعالى :[ لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يعباد فاتقون ﴿١٦﴾ والذين اجتنبوا الطغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد ﴿١٧﴾ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هدىهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴿١٨﴾ أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار ﴿١٩﴾ ]" .[27]

وقع في هذه الآيات الكريمات إظهار في مقام الإضمار ، "فالذين استمعوا القول واتبعوا أحسنه هم الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم وهذه صفة زائدة لهم في كونهم أنهم أصبحوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل"[28] .

فهؤلاء هم الذين هداهم الله لدينه. "فاستحقوا أن يكونوا من أصحاب الألباب و العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة، وفي هذا دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها"29، "فإذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا المباح والندب حرصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثواباً أو يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن أو يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك"[30].

وفي هذه الآيات ثناء الله على عباده المجتنبين للطاغوت الذين يستمعون القول "وهو عام في جميع الأقوال، فيتبعون أحسنه: ثناء عليهم بنفوذ بصائرهم وتمييزهم الأحسن، فإذا سمعوا قولا تبصروه. وقيل أن أحسن القول هو: القرآن وما يرجع إليه.وقيل: القول: القرآن، وأحسنه: ما فيه من صفح وعفو واحتمال ونحو ذلك"[31] .

فمقتضى الظاهر في هذه الآيات البيّنات أن يقال: ""فبشرهم"، فعدل إلى الإظهار باسم العباد مضاف إلى ضمير الله تعالى، وبالصلة لزيادة مدحهم بصفتين أخريين وهما: صفة العبودية لله، أي عبودية التقرب، وصفة استماع القول واتباع أحسنه"[32].

هذا ما جاء منقولا عن مجموعة من المفسرين الذين اتفقوا على وجود إظهار في مقام الإظهار ، لكن هناك نكتة بلاغية أخرى وجب الوقوف عندها مليا ، هي ورود اللفظ الثاني من الآية اللاحقة في قوله تعالى " يستمعون القول فيتبعون أحسنه " هي نفسها قوله تعالى في الآية السابقة " الذين اجتنبوا الطاغوت " وهذا قد صرح به في نقولات المفسرين السالفة ، فاختلف اللفظ واتحد المقصود .

بالإضافة إلى هذا ألفيت أن اللفظ الثاني لو جيء به بنفس لفظ الأول لم يتحقق الغرض المقصود ولم يكن للفاصلة حينئذ أي معنى منشود ، فمجيء اللفظ الثاني بمعناه كان له وقع حسن وأعطى للأسلوب القرآني رونقا وجمالا الذي من عادته التنويع بين الأساليب والمخالفة بينها لا لغرض لفظي فقط بل لغرض جمالي إبداعي له دلالات وإيحاءات زائدة بخلاف لو جيء اللفظ الثاني بنفس اللفظ الأول، فالزيادة في المبنى تقتضي الزيادة في المعنى . والزيادة في المعنى تستلزم التنويع والمخالفة بين الأساليب والمفردات .

## 5.خاتمة :

خلص المقال في النهاية إلى جملة من النتائج كالآتي:

- إيثار المظهر على المضمر من المسائل المهمة في النص القرآني المعجز .
- إيثار المظهر على المضمر له أغراض ودلالات وقف عندها علماء البلاغة والدراسات القرآنية وأهل التفسير في تفاسيرهم .
- قد يكون لإيثار المظهر على المضمر دور في رعاية الفاصلة القرآنية من الناحية اللفظية والمعنوية .

وفي الأخير ينبغي الإشارة إلى أن إيثار المظهر على المضمر ليس متعلقا بالفاصلة فحسب بل له أغراض أخرى وجب على كل متبحر في علم التفسير واللغة أن يلتفت إليه ويمعن النظر في النص القرآني لعله أن يظفر بأسرار

ومكنونات لم يشر إليها العلماء المتقدمون ممن له باع كبير في علم التفسير ، وعسى أن يكون لنا وقفة أخرى مع أسرار الفاصلة القرآنية ومناسبتها لخواتيم الآي في النص القرآني المعجز.

- **قائمة الهوامش :**

[1] – الأزهري، ، تهذيب اللغة ، تح : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط01، 2001 ، ج12، ص: 135.

[2] – الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،تح: أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين – بيروت،ط04، 1987، ص: 1790.

[3] – ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر –بيروت–، ط 03، ج11، ص521.

[4] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط01، 1957، ج1،ص: 53.

[5]– السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط01، 1988، ج1، ص 25.

[6] – المصدر نفسه ، ج1، ص: 25.

[7]– مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم – دمشق،ط03 ، 2005 ، ص:134.

[8] –محمد محمد أبو موسى ، خصائص التراكيب –دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، مكتبة وهبة–القاهرة ، ط04، 1996، ص241:.

[9] – الزركشي ،البرهان في علوم القرآن، ج2،ص: 484.

[10]– عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، البلاغة العربية ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت،1996، ص: 503.

[11] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج02، ص:482 .

[12] – المصدر نفسه،ص:485-498.

[13] السيوطي ،معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج1، ص:274

[14] – السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974 ، ج3،ص: 244.

[15] – السيوطي ، معترك الأقران ، ج01، ص: 274-278 .

[16] – محمود عبدالجليل روزن ، في الإظهار في مقام الإضمار في القرآن الكريم " محدادت استحسانه، وسر شيوعه ، وأغراضه – الأسماء الحسنى نموذجا، بدون تاريخ النشر، ص 31، بحث في موقع : www.tafsir.net

[17] –المرجع نفسه، ص: 32-33 .

[18] – السيد خضر، الفواصل القرآنية –دراسة بلاغية–، مكتبة الإيمان–المنصورة، ط01 ، 2000، ص: 119–124 .

[19] - سورة يوسف:90 .

[20] – الزمخشري ،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي– بيروت،ط1987،03،ج2،ص: 502 و البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح : محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط01،ج3،ص: 175.

[21] – أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت ، ج6،ص: 321

[22] – الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب– دمشق، بيروت،ط01،ج3،ص: 62.

[23] – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984، ج13، ص: 49.

[24]– سورة الزمر:33–35 .

[25] – الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط01 ،ج12،ص: 259.

[26] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص: 09.

[27]– سورة الزمر:16–19 .

[28] – الزمخشري، تفسير الكشاف، ج04،ص: 120 .

[29] – البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج05، ص: 39.

[30] – أبو البركات النسفي ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تح : يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت ،ط01، 1998 ، ج3،ص: 174.

[31] – أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ، ج9، ص: 192 .

[32] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص: 365.

- **قائمة المصادر والمراجع :**

القرآن الكريم رواية حفص عن عاصم

- **قائمة المصادر**

1– ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر –بيروت–، ط 03، ج11.

2– أبو البركات النسفي ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، تح : يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت ،ط01، 1998 ، ج3.

3– أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت ، ج6.

4– الأزهري، ، تهذيب اللغة ، تح : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط01، 2001 ، ج12.

5- الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط01 ،ج12.

6- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح : محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط01،ج3.

7- الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،تح: أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين – بيروت،ط04، 1987.

8- الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط01، 1957، ج1.

9- الزمخشري ،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي- بيروت،ط1987،03،ج2 .

10- السيد خضر، الفواصل القرآنية –دراسة بلاغية-، مكتبة الإيمان-المنصورة، ط01 ، 2000.

11- السيوطي : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط01، 1988، ج1.
الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974 ، ج3.

12- الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت،ط01،ج3.

13- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984، ج13.

14- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، البلاغة العربية ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت،1996.

15- محمد محمد أبو موسى ، خصائص التراكيب –دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، مكتبة وهبة-القاهرة ، ط04، 1996.

16- مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم – دمشق،ط03 ، 2005 .

- **مواقع الشبكة المعلوماتية** :

**01-** www.tafsir.net